مـقـيـاس الحكم على الإنتـاج الفنى، وفى المنطق قـاعـدة الاسـتنتـاج الصحيح»[١].

وتتجاوز المعياريّة sciences normatives وصف ما هو كائن إلى دراسة ما ينبغى أن يكون. فهى تتضمن دراسة القيم من حقّ وخير وجمال[٢]. واللغويون العرب كانوا يقيسون الأداء اللغوى سواء فى مستوى التعامل اليومى أو فى النتاج الفنى والفكرى والعلمى بمعاييرهم التى استنبطت فى عصور الاحتجاج، ومن ثمّ تصدر الأحكام لتبرز التوافق أو التنافر، أى الصواب أو الخطأ، وقد تبنى المحدثون فكرة أن قواعد النحاة كانت سابقة على تأملهم ونقدهم ولاسبيل إلى درس وصفى يمكن أن يؤدى إلى إثبات ما يخالف أصلاً عرف مكانه فى منظومة تقعيدية[٣].

إن الكلام فى التطور اللغوى يأخذ لدى بعض الباحثين الأجانب وجهة تغفل روح الفصحى الذى تعيش به، وينكرون الحفاظ على القوالب القديمة وينحون باللائمة على أصحاب الجهود اللغوية منذ صنفت المؤلفات فى التاريخ العربى الإسلامى، لأنهم لم يسايروا حقيقة التغيّر الحاصل فى حياة لغة الناس، والتفتوا إلى كم محدود وهيكل قديم يسكبون مدادهم فى تزيينه وتلميعه، أى أنه ينبغى أن تساير كما هو الشأن فى اللغات الأوربية الناشئة والمتولّدة عن أصلها اللاتينى – على سبيل المثال – إذ كانت لهجات للغة واحدة، فتبدّلت المجتمعات ونطق أهلها بأشكال عدة، فقعّدت لها القواعد إلى أن استوت لغة جديدة عن هذه الجماعة الجديدة هنا أو هناك[٤].

(١) مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفى، ص ١٨٨، القاهرة، ١٩٧٩م.

(٢) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

وانظر:

Dicalphabétique et analogique de la langue francaise V. 4 pp. 809 - 810.

(٣) د/ فايز الدّاية، علم الدلالة العربى، ص ٩٨، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، ط ١، دمشق، ١٩٨٥م.

(٤) د/ رمضان عبد التواب، لحن العامة، ص ٣١، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٧م.